المحور الأول

المقوم الإيمانى

فى تحقيق الأمن المجتمعى فى الإسلام

حول " المقوم الإيمانى " للأمن المجتمعى فى الإسلام، دار المحور الأول من محاور الدراسات التى شملها مجلد مقومات الأمن المجتمعى فى الإسلام، وشغل من المجلد الضخم (٤٣٦) ورقة، ضمت بحوثاً ودراسات لكبار علماء الإسلام منهم: الأستاذ الدكتور على جمعة مفتى الديار المصرية، والأستاذ عصام أحمد بشير (المركز العالمى للوسطية)، والأستاذ الدكتور محمد عمارة، والأستاذ الدكتور طه أبوكريشة، وشيوخ وعلماء من الجزائر وفلسطين ولبنان والإمارات والكويت وماليزيا، ومن أستراليا والمكسيك واليونان والبرازيل والإكوادور وغيرها، ودارت دراساتهم حول دور الإيمان فى تحقيق السلام المجتمعى، والمقومات الإيمانية للأمن المجتمعى فى الإسلام، والقيم الأخلاقية والأبعاد الروحية والمادية للأمن، وأثر الإيمان فى السلوك، ومنهج الإسلام فى تحقيق الأمن، والتعددية الدينية والعرقية والمذهبية والقومية، والتسامح فى ظل التعددية.

تلفت هذه الدراسات إلى أصول المقومات الحافظة للأمن المجتمعى فى الإسلام، فالإنسانية - فيما أرشد القرآن الحكيم - تنتمى إلى أسرة بل ونفس واحدة.."يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً" (النساء:١)..والتعاون على البر والتقوى أصل من الأصول الإسلامية.. " وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ" (المائدة: ٢)..هذه الرؤية التى أفاضت فيها دراسة الدكتور على جمعة

أثرت وتـؤثر إيجاباً بلا شك على مفهوم الأمن والسلام المجتمعى..ترعاها باقة من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية..فالسلام اسم من أسماء الله تعالى، وجعل سبحانه وتعالى إفشاء السلام غاية.وفى الحديث:" والذى نفسـى بيـده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أوَ لا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم، أفشوا السلام بينكم "..وفى حديث برواية عمار بن ياسـر: " ثلاث من كن فيه استكمل الإيمان: الإنفاق من الإقتار، والإنصاف من نفسك، وبذل السلام للعالم "،ويقول عليه الصلاة والسلام لمن سأله عن خير الإسلام:" تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف".

ودور الإيمان فى تحقيق السلام الاجتماعى، هو موضوع دراسة الدكتور عبد العزيز بن عثمان التويجرى، يلفت إلى الفرق بين " الإيمان بالله "ويعنى التصديق والإثبات والاعتراف بوجـــوده سبحانـــه، وبين "الإيمان له " ويعنى القبول عنه والطاعة له، وهذا يعنى أن لفظ " الإسلام" يأتى مساوياً للفظ الإيمان بالله..هذا الإيمان هو كنف الطاعات التى هى كلها ثمرة الإيمان، ومن هذه الثمرات للإسلام أن يسلم قلب المسلم لله، وأن يسلم المسلمون من لسانه ويده، وأن يهجر السوء. هذا الإسلام إيمان وعمل.. الإيمان يمثل العقيدة والأصول، والعمل يمثل الشريعة والفروع المعدودة امتداداً للإيمان والعقيدة..هذا الإيمان هو الذى يحفظ للإنسان سلامه الروحى وأمنه مع نفسه ومع الناس، وهو أيضا قوة الدفع للعمل لبناء الذات ونماء المجتمع وصنع الحضارة، وهو كذلك مصدر السلام والأمان والاطمئنان.

حول هذه المقومات الإيمانية، دارت أيضاً دراسة الأستاذ الدكتور عصام أحمد البشير، يبدؤها ببيان "الأمـــن" معنىً ومفهوماً، ويثنى بمكانة الأمن فى الإسلام: (١) هـــو حق إلهـــى للإنســـان به صلاح الدنيا والدين (٢) والحفاظ عليه من الضرورات الخمس التى يحتاجها كل فرد: على حياته، ونفسه، ودينه، وعرضه، وماله. والشريعة كلها مبنية على الأمن. فالتوحيد نفسه أمان، وبعض أركان الدين موصولة بالأمن كالصلاة والحج، وبهذا الأمان تجرى

الدعوة نفسها مشمولة بالتبليغ وبالأمان الفكرى وإجارة الناس حتى المشركين.يقول تبـــارك وتعالى:"وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْلَمُونَ" (التوبة: ٦)..من هذه المنظومة يتجلى أن الأمن هو عافية بنيان المجتمع، وهدف التربية الإسلامية، وصمام أمن المجتمع، وغايته نحو السلام.

يتوقف الدكتور التويجرى ليورد معالم عشرة للأمن الفكرى فى الإسلام، ووسائل حمايته، مقدما مبدأ الوسطية والاعتدال، ومنوّهاً بوجوب دراسة واقع الشباب وحل مشكلاته، ولزوم اهتمام مؤسسات الدولة والمجتمع بهذه التربية.

وحول الإيمان والعقل والسلوك، كتب الأستاذ الدكتور طـــه أبوكريشة، فأورد كثيرا منالنصوص القرآنية والنبوية التى تؤكد علاقة الإيمان والعقل والسلوك بأمن المجتمع.تثبت هذه الحقيقة أسس ومقاصد النظام المجتمعى فى الإسلام..فى الأركان، وفى الفرائض، وفى العبادات، وفى الكسب والنشاط، وفى المعاملات، وفى رعاية الوالدين والأسرة والأولاد، وذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل، وفى مسالك المعاملات التى يوصى بها القرآن الكريم: " وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا" (البقرة:٨٣)، "وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولواْ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ" (الإسراء: ٥٣)، وقوله تعالى: "لاَّ يُحِبُّ اللّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوَءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ وَكَانَ اللّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا" (النساء: ١٤٨).. هذه المنظومة الإسلامية، تمقت وتنهى عن اللمز وعن التـــناجى بالإثم والعدوان والمعصيات، وعن الخيلاء والفخر، وتتنادى بوصية الرحمن تبارك وتعالى: "وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاَمًا" (الفرقان: ٦٣).

تخلص دراسة الدكتور طه أبوكريشة إلى أن التوجيهات القرآنية فى سائر الجوانب العقلية تتم من خلال حوار وخطاب عقلى، يسلم فيه العقل بما يدور حوله الحوار، ثم ليكون من وراء التسليم - الالتزام بالسلوك المحمود الذى يؤمن المجتمع من الخلل، ويحوطه بسياج من الرعاية الروحية والعقلية تكفل له تحقيق أمان المجتمع فى واحة الإسلام الذى قدم الهداية والسلام للعالمين.

اختار الأستاذ الدكتور إبراهيم أبو محمد - رئيس المؤسسة الاسترالية للثقافة الإسلامية فى استراليا، أن يكتب عن " منهج الإسلام فى تحقيق الأمن - الرؤية والأبعاد ". - استغرقت دراسته الطويلة ٦٢ ورقة، يستهلها بالحديث النبوى الذى رواه ابن ماجه:" من أصبح منكم معافـــى فى جسده، آمناً فى سربه، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا ". بهذا الاستهلال تقدم الدراسة لأهمية تأمين الإنسان فى جانبيه المـــادى والمعنوى. المادى المتعلق بتوفير الماديات الضرورية كتأمين الغذاء والكساء والمأوى، والجانب المعنوى المتعلق بالحضانة والتربية والتعليم والثقافة والإعلام والصحة البدنية والنفسية التى قوامهـــا طمأنينة النفس.

الأمن الذى تنصرف إليه الدراسة، بهذه المقومات، هو أمن الإنسان على نفسه وذويه، وما ملكت يداه، وأمنه على عقله وفكره وحريته، وكل ما يشكل ركنا من أركان وجوده المادى والمعنوى. ثم هو أمن المجتمع شاملا الأغيار إلى جوار أمن وأمان النفس.

يقسم الدكتور إبراهيم أبومحمد بحثه فى قسمين: **الأول** الأمن المادى المعنوى.. ميادينه ومقوماته. و**الثانى** دور العقيدة والشريعة فى تحقيق الأمن. يركز القسم الأول على ميادين الأمن: الاجتماعى والاقتصادى والقومى (الداخلى والخارجى) والسياسى، لينطلق إلى التعريف بمقوماته وأصوله فى النواحى المادية، وفى النواحى العقلية والنفسية عبر الحضانة والتربية والتعليم والثقافة والإعلام، وفى إطار تفعيل عقيدة التوحيد وتحقيق العدل وحماية الحريات والمساواة حيث نرى كيف أن وسائل تحقيق الأمن فى ظل المنظومة الإسلامية تتعدد بتعدد أنشطـــة الحياة.

وفى إطار دور العقيدة والشريعة فى تحقيق الأمن المجتمعى، تتناول دراسة الدكتور إبراهيم أبومحمد - دور العقيدة، وكيف يجب صياغة معانى العقيدة ومنهج الإسلام لتحقيق هذه الغاية فى إطار عقيدة الإيمان القائمة على التوحيد

والاستغراق باعتباره موقفا كليا فى مسرح الحياة الإنسانية، ويجب أن تدار آلياته فى إطار " القدوة " فى الممارسة والتطبيق، مع الالتفات إلى أهمية الوقاية من الجنوح بدلاً من انتظار تداركه أو معالجته، والاهتمام بتفعيل دور العقيدة، وتدارك أثر الخوف فى تعطيل القدرات الإنسانية التى يرعاها الإسلام نحو الكمال والجمال اللذين بهما يتحقق أمان المجتمع. لن تكتمل أجنحة الأمان لمجرد أمن الإنسان فى الدنيا، وإنما توجب الرؤية الإسلامية الصحيحة ألاّ ينفصل الإنسان بدنياه الفانية عن آخرته الباقية التى تمثل الحافز الذى يدفع ضمير المؤمن نحو طلب الكمال والجمال والسلام. هذه الغايات نحو السلام المجتمعى يطلقها التحرر من هم الرزق، ومن هم خوف الضر والحرص على المنفعة.

من كلمات العلاّمة سعيد النورسى عن الربط بين ضياء القلب ونور العقل فى معرفة الحقيقة، تورد الدراسة: "ضياء القلب هــو العلوم الدينية، ونور العقل هو الفنون المدنية، وبامتزاجهما تتجلى الحقيقة، وبافتراقهما تتولد الحيل، والشبهات فى هذا، والتعصب الذميم فى ذلك ".

ولذلك فنحن نحتاج إلى التركيز الشديد على الربط بين الضياءين أو بين النورين، ضياء القلب ونور العقل، حتى تخرج أمتــنا من دائرة العجز والتخلف والتبعية وتعود إلى دينها عودًا حميدًا، وذلك هو الأمل الذى ترنو إليه عيون كل الأمناء من أبناء الإسلام فى كل عصر ومصر.

* * *

الأبعاد الروحية والمادية
للأمن المجتمعى فى الإسلام

اختار الأستاذ الجليل الدكتور محمد عمارة، أن يكتب فى إطار المحور الأول (المقوم الإيمانى) عن الأبعاد الروحية والمادية للأمن المجتمعى فى الإسلام، بينما كتب السيد / بشار شريف دامار نائب مفتى الأقلية الإسلامية فى اليونان - كتب عن الأمن الروحى والمادى فى الإسلام.

يبدأ الدكتور محمد عمارة دراسته بتعريف أن "الأمن" هو المقابل المضاد للخوف والفزع.. فهو الطمأنينة والاطمئنان إلى عـدم توقع المكروه، أما "الإيمان" فهو اطمئنان القلب بالانتماء إلى الخالـق عز وجل.. الرازق والمنعم والراعى والحافظ..فالاطمئنان بالمعية الإلهية يعصم من أى خوف أو فزع أو اغتراب فى الدنيا والآخرة، ومن ثم كان الإيمان هو أفضل السبل لتحقيق أمن الإنسان وأمن علاقاته بالناس..عن الوعد الإلهى بهذا الأمن، يستشهد الدكتور عمارة بآيات من سورة النور والنحل والزمر. يقول الحق جلا وعلا فى سورة النور" وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ " (النور: ٥٥).. وفى الحديث النبوى الشريف: " لا يؤمن من لا يأمن جاره بوائقه "..."المؤمن من أمنه الناس علـى دمائهـم وأموالهم ".

اختار الدكتور عمارة أن يستشهد من سورة النور بآية تحمل وعداً وبشارة للمؤمنين بتبديل المؤمنين من " بعد خوفهم أمنا " لقاء عبادتهم الخالصة من أى شرك، وتعدهم بأن الله تعالى سيمكن لدينهم الذى ارتضى لهم بهذا الإيمان إلى جوار الأمان، وبأنه عز وجل ليستخلفنهم فى الأرض لقاء إيمانهم وعملهم

الصالحات. الإيمان إذن هو مصدر أمان المؤمن مع نفسه ولمن يتعامل معهم، ومناط ومرجعية كل شيء طيب يأمله الإنسان فى آخرته وفى دنياه، أما التمكين الذى وعدت به الآيات البينات، فليس للتيه والتجبر، وإنما لغاية حميدة تضع أعينها على كفالة الأمن المجتمعى فى واحة الإسلام.

فى محاجة ابراهيم عليه السلام مقدمه، يتوقف الدكتور عمارة عند آيات من سورة الأنعام، يقول فيها الله تبارك وتعالى: "وَحَآجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلاَ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلاَّ أَن يَشَاء رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلاَ تَتَذَكَّرُونَ *وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلاَ تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ " (الأنعام: ٨٠ - ٨٢)..فيستخلص الأستاذ عمارة من معانيها أن الأمن هو ثمرة الإيمان، بينما الخوف والحيرة والقلق والضلال هى ثمرات الشرك الذى يفتقد فيه المشرك - معية الله والأنس به والانتماء إليه والاحتماء بظلال حضرته القدسية..هذه المعانى التى تتجلى فى قول الحق جلت حكمته:

" فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ.الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـئِكَ لَهُمُ الأَمْـــنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ".(الأنعام: ٨١، ٨٢).

فى الحديث النبوى الشريف: "لا تخيفوا أنفسكم بعد أمنها "، وضرب القرآن الحكيم مثلا للأمن والطمأنينة للجماعة والمجتمع، فى قوله عز من قائل: "وَضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللّهِ فَأَذَاقَهَا اللّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ" (النحل:١١٢).

هذا الإيمان هو القوة الروحية التى تخرج الإنسان من الخوف إذا ألمّ به أو حملت النوازل نذره.. هذه القوة الروحية التى منبعها الإيمان هى التى تؤمن الإنسان من الخوف ومن الجوع ومن نوازل النقص فى الأموال والثمرات وما

يصيب الأنفس، فيقول الحق تبارك وتعالى: "وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّـا إِلَيْهِ رَاجِعونَ * أُولَـئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّـن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَـةٌ وَأُولَـئِكَ هُـمُ الْمُهْتَدُونَ " (البقرة: ١٥٥ - ١٥٧)

هذا الإيمان بصدق الوعد الإلهى هو الذى حدا بأم موسى إلى إلقائه فى اليم واثقة مطمئنة بصدق الوعد الإلهى، وكذلك كانت ثقة واطمئنان وأمان موسى عليه السلام فيما قابل به شطحات الكافرين..وثقة وأمان واطمئنان المصطفى عليه الصلاة والسلام حين وقف الكفار الملاحقون له على مدخل الغار الذى يختبئ فيه وصاحبه الصديق من بطشهم..كان إيمانه - صلى الله عليه وسلم - الذى واسى به صاحبه، مستمدًا من الإيمان بالمعية الإلهية التى تزيح إلى خوف أو فزع.. بهذا الإيمان طفق عليه الصلاة والسلام يفرخ روع الصديق: " إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ ".. (التوبة: ٤٠)

تستقصى الدراسة كثيرا من المواقف الإيمانية الجالبة للأمن والأمان..فى غزوة الأحزاب عندما بلغت القلوب الحناجر، وفى استدعاء الالتفات - فى سورة قريش - إلى الأمان الذى أضفته وتضيفه المعية الإلهية " فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّـنْ خَوْفٍ " (قريش: ٣، ٤)..فهو سبحانه الذى يمتن على المؤمنين بالحرم الآمن الذى لا يناله من يتخطفهم الموت من حولهم.. "وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْناً وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ " (البقرة: ١٢٥).. وفى مزاوجة متقابلة بين ما يمنحه الإيمان، وبين ما يفعله الخوف، تقول الآية الكريمة: " أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُـــونَ وَبِنِعْمَـــةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ " (العنكبوت: ٦٧).

فالعلاقة كالعروة الوثقى بين الأمن الروحى والمادى - على المعاش والمعاد، وبين الإيمان والانتماء لواهب هذه النعم وإفراده بالألوهية والربوبية والعبودية والعبادة. هذا الإيمان - وثمرته الأمن الفردى والمجتمعى - هُما جماع أداء الأمانة التى حملها الإنسان الذى استخلفه ربه سبحانه وتعالى لعمارة الأرض وفق شريعته الهادية إلى نور الإيمان وطمأنينة الإيمان.

هذه المنابع التى تصب - بالإيمان - فى أمان الفرد، تنعكس بالضرورة على أمان المجتمع الذى حرص الإسلام على بنائه وكفالة أمنه. وسيلته هو ذات الإنسان المؤمن الذى يقوم نسيجه على جناحين: " الأمن الروحى" الذى يتحقق بالانتماء الدينى والمعية الإلهية والأنس بالحضرة الربانية، "والأمن المادى" على المعاش. بهذا النسيج يكون المؤمن ركيزة ولبنة للأمن الروحى والمادى للمجتمع، يقيه بما يتحقق له من صعود إلى المعارج الإلهية - يقيه من سلبيات الواقع الاجتماعى العالمى، ومن توحشات الرأسمالية وسيطرة رأس المال على عباد الله، وإعطاء الظهر للفقر والفقراء، ويقيه من عوادم الانحصار والانكفاء على الذات الذى منه شاع الفقر والبطالة والعنوسة والعنف والفساد والعشوائيات وسرف الترف المستفز ! هذا الإيمان هو الذى ينشر أمانه فيبدل المجتمع بإيجابيات تحسر هذه السلبيات الطالحة، ويحقق من ثم للمجتمع سلامة الأسس التى تنبنى عليها حياته ويشيع الأمن والأمان فى جنباته.

ذات هذا الإيمان - فيما يورد البحث - هو الذى يمهد السبل للإصلاح الفكرى الذى يقى المجتمع غوائل العنف العشوائى، وسلبيات الجمود والتقليد، ومثالب الدروشة والبلاهة، وهو ما يستلزم علاجه - إعادة الثقافة الإسلامية إلى " وسطية التوازن والاعتدال " وما كانت عليه فى عصور الازدهار الحضارى ومشروعات التجديد الفكرى والدينى.

يتوقف البحث توقفاً له مغزاه، عند مقتطفات للحارث بن أسد المحاسبى (٧٨١ - ٨٥٧م) الذى جمع بين التصوف والفلسفة والسلفية، فيها تحدث الحارث عن العقل فقال إنه: "غريزة وضعها الله سبحانه فى أكثر خلقه..ونور

فى القلب كنور العين..يولد العبد بها، ثم يزيد فيه معنى بعد معنى بالمعرفة بالأسباب الدالة على المعقول.والمعرفة عن العقل تكون. وهو صفة الروح..ولقد سمى العقل لبا، ولب كل شيء خالصه، وقال عز وجل: " إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الأَلْبَابِ " (الزمر: ٩)

بالعقل - مع القلب - عرف الخلق ربهم تبارك وتعالى، وبتمام العقل المؤمن أفرد ربه عز وجل بالتوحيد، وجعل الله العقول معادن الحكمة، ومقتبس الآراء، ومستنبط الفهم، ومعقل العلم، ونور الأبصار..إليها يأوى كل محصول، وبها يستدل على ما أخبر به سبحانه وتعالى من علم الغيوب.. فبها يقدرون الأعمال قبل كونها، ويعرفون عواقبها قبل وجودها، وعنها تصدر الجوارح والأفعال بأمرها، فتسارع إلى طاعتها، أو نرى هجرها فتمسك عن مكروهها.يضيف المحاسبى إلى ذلك أن الله تعالى قد استخلص من عباده " خالصة " من خلقه، فهمت عنه قوله بعقولها، فاتسع لها ما خفى عن الأبصار..

تعرض دراسة الدكتور عمارة لما قاله الإمام الغزالى عن علاقة العقل بالنقل والشرع، وإلى مؤاخاة الفيلسوف الطبيب الفقيه أبو الوليد بن رشد - مؤاخاته بين الحكمة والشريعة، وبين العقل والنقل، كما تعرض لما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية عن وجوب موافقة صريح العقول لصحيح المنقول حتى قال: " إن ما عرف بصريح المعقول لا يتصور أن يعارضه منقول صحيح قط ".!..وما قاله جمال الدين الأفغانى رائد اليقظة الإسلامية فى العصر الحديث: " إن الدين الإسلامى يكاد يكون متفردا بين الأديان بتقريع المعتقدين بلا دليل، وتوبيخ المتبعين للظنون، وتبكيت الخابطين فى عشواء العماية، والقدح فى سيرتهم.. إن العقل مشـــرق الإيمان، فمن تحول عنه فقد دابر الإيمان. " !..أما الشيخ الإمام محمد عبده، أبرز أعلام الإحياء والتجديد فى العصر الحديث، فقد أفاض فى ضرورة الإصلاح الفكرى، وإعادة الإخاء بين العقل والنقل فقال ممـــا قاله: " أن العقل هو جوهر إنسانية الإنسان.. وهو أفضل القوى الإنسانية على معرفة الحقيقة..ولقد تآخى العقل والدين لأول مرة فى كـــتاب مقدس،

على لسان نبى مرسل، بتصريح لا يقبل التأويل، وتقرر بين المسلمين كافة - إلاّ من لا ثقة بعقله ولا بدينه !

والله تعالى يخاطب فى كتابه: " الفكر والعقل والعلم " بدون قيد ولا حد، ولكن العقل البشرى وحده ليس فى استطاعته - بمفرده - أن يبلغ بصاحبه ما فيه سعادته فى هذه الحياة، اللهم إلاّ فى قليل ممن لم يعرفهم الزمن. ومن أحوال الحياة الأخرى ما لا يمكن لعقل بشرى أن يصل إليه وحده، لهذا كان العقل محتاجا إلى معين مستعين به فى وسائل السعادة فى الدنيا والآخرة. إن العقل هو ينبوع اليقين فى الإيمان بالله، وعلمه وقدرته، والتصديق بالرسالة..أما النقل فهو الينبوع فيما بعد ذلك من علم الغيب، كأحوال الآخرة والعبادات..والذى علينا اعتقاده: أن الدين الإسلامى دين توحيد فى العقائد، لا دين تفريق فى القواعد، والعقل من أشد أعوانه، والنقل من أقوى أركانه.

على أن من أهم ما تخلص إليه دراسة الدكتور عمارة من هذه الأسس، هو حضور " الإصلاح الاجتماعى " فى المنظومة الإسلامية.فالإسلام دين الجماعة، جمعت فلسفته وتشريعه بين المسئولية الفردية: " وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَآئِرَهُ فِي عُنُقِهِ "..." كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ "..." وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى "..." مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ " - جمعت بين هذه المسئولية الفردية، وبين المسئولية الاجتماعية والمجتمعية..يتجلى ذلك فى عموم توجيه الخطاب القرآنى إلى الأمة والجماعة وإلى الناس كافة.

فى هذه الفلسفة التشريعية تزاملت وتساندت الفروض والتكاليف الفردية - العينية - مع الفروض والتكاليف الكفائية - الجماعية والاجتماعية المجتمعية، ولهذه الحكمة، كان الأمن فى الإسلام أمنا فرديا واجتماعيا ومجتمعيا، يجتمع فى واحته أمن الفرد وأمن المجتمع والناس، على أساس الأمن الدينى والروحى والفكرى، وأمان مقومات المعاش فى دنيا الإنسان.

والعدل فى واحة الإسلام، هو الركن الركين الذى به يتحقق التكافل الاجتماعى فى الإسلام. هذا التكافل الاجتماعى هو الذى يجعل الأمة جسدا واحدا، لأن منه وإليه التضامن والإعالة والرعاية، وهو مؤسس القاعدة الإسلامية الكلية، لقيام التوازن والموازنة والميزان بين الأفراد والطبقات والجماعات والأطراف، فى رعاية وتساند يكفلان أمن الفرد وأمن الجماعة والمجتمع والناس..ترى آليات تطبيق ذلك فى صندوق التنمية بالركاز، وفى صندوق الزكاة العامة، وفى الوقف.ومن ذلك كله وغيره صار للمجتمع الإسلامى قواعد وأسس وتطبيقات وتاريخ فى فلسفة الأمن الاجتماعى الذى رعى الإسلام كفالته وكفالة حاضره موصولة فى منظومته وفى واحة مجتمعه وأمانه وطمأنينته المشعة فى محيطه وعلى كل الموجودين فيه.

* * *

وفى دراسة السيد / بشار شريف دامار - نائب مفتى الأقلية الإسلامية باليونان، عن الأمن الروحى والمادى فى الإسلام، يورد أن مصطلح " الأمن " ورد فى القرآن الكريم فى آيات متعددة تفيض دعوة صريحة إلى العمل من أجل استتباب الأمن وتحصيل السلم ونشر معالم الأخوة والتعاون، ولم يتوقف الإسلام عند حدود تنظيم الإجراءات الكفيلة بتحقيق الأمن فحسب كما يجرى فى التنظيمات الوضعية الحديثة، بل حرص على أن يربى فى النفوس بناء النيات الصالحة والدوافع الخيرية والنزوع الدائم والطوعى إلى الأمن والسلام، وتدعيم أسس الألفة والطمأنينة.

لقد امتن الله تعالى على عباده بنعمة الأمن الروحى والمادى، بل وأمرهم بالشكر على ما امتن به عليهم من مقومات هذا الأمن فقال عز من قائل: " فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ " (قريش: ٣ - ٤).. ومن المشاهد اللافتة أن رسول القرآن عليه السلام قد أخبرنا عن ماذا يفعل الإسلام والدين والإيمان فى الفرد والمجتمع والدول.. جاء إليه بعض الصحابة يشكون حالهم فقال لهم: " والله ليتمن الله عز وجل هذه الأمر حتى

يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون "، وفى القرآن المجيد: " أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ" (إبراهيم: ٢٤ - ٢٥).

فمن النصوص الشرعية، والمبادئ الإسلامية، والقواعد الكلية، والأحكام الفقهية، ظهر بالدليل والبرهان، والمنطق والعقل، والواقع والتجربة - عظمة الوظيفة التى يؤديها الإيمان فى الحياة بما ينسجم مع الفطرة البشرية، ويوافق التصور السليم عند الإنسان والكون والحياة وخالق الحياة جلّ شأنه، مما يقطع بحاجة الناس إلى الإيمان على المستوى الفردى والجماعى.

يورد السيد/بشار شريف دامار أن الأيام والسنين تتوالى، وتتعاقب الحوادث والأحداث لتؤكد هذا الأمر وتزيده وضوحًا وتؤكد أن الإيمان هو أساس الأمن المجتمعى، وأن العمل والحضارة والتقدم وإن كانت علامات رقى، إلا أنها لا تحل محل الإيمان، فالعلم بذاته سلاح ذو حدين، فمع ما فيه من احتمالات النفع والفائدة، إلا أنه قد يستخدم للتدمير والفتك والإبادة ما لم يلجمه الإيمان والأخلاق والقيم والرعاية الإلهية، ولذلك تتعالى الصيحات للعودة إلى الإيمان، والالتجاء إليه، والتفيؤ بظلاله، والاستئناس بقيمه وأحكامه، واستنشاق عبيره، وعطره، ليهتدى الضال، ويؤوب الفاسق، ويستيقظ الغافل، ويستقر التائه، وينعم الجميع بما يحققه الإسلام من سعادة فى الدنيا، وينتسبون إلى روضة الإسلام الفيحاء، هذا الحصاد هو الذى أدى فيما تقول الدراسة إلى بروز الحركات الفكرية والسياسية والاجتماعية المعاصرة التى تستعين بالدين، وتطالب بتطبيقه، ليمارس وظيفته، ويحل المشاكل والمآسى والصعوبات التى ترزح تحتها الشعوب التى أعرضت عن دين ربها، وحجرت على حرية التدين، فنالها الشقاء واستشرت فيها الأمراض الاجتماعية والنفسية !!

أما دور الإسلام فى تحقيق السلام الاجتماعى، فيتجلى فى إقامة الروابط الاجتماعية الحية فى إطار شعور بالولاء والانتماء يربط بين الفرد والمجتمع،

وتقوية الروابط ودعم تماسك وتساند المجتمع فى قيمة المنبثقة من الإيمان، وحفظ النظام بمقومات الإيمان التى تمنع انتهاك حرمات المجتمع برادع من السلطة التى تضمن تنفيذه وتلاحق من يخرج عنه، أو على حد ما استشهد به الباحث من قول المودودى: " والشخص الذى وقر فى سويداء قلبه وأعماق ضميره الإيمان القوى الصحيح بالآخرة، يكون حاله كرجل يصحبه فى كل حال من الأحوال رقيب يمنعه من كل إرادة تجره إلى السوء، يردعه عن اتخاذ كل خطوة نحو الإثم، ويؤنبه على كل عمل ينكره الإسلام، سواء أكان فى الظاهر بعمل شرطة تقبض عليه أم بينة تدينه، أو محكمة تعاقبه، أو رأى عام يلومه على ما يفعله - أم لا يكون، إذ يستقر فى نفس الإنسان حسيب صعب المراس لا يجرؤ الإنسان - خشية منه - أن يتهرب من فرائض الله تعالى فى الخلوة أو فى الغابة أو فى الظلام أو فى البادية، ولا يقدر على اقتراف ما حرمه الله، وإذا اقترف - على سبيل الافتراض - يندم على ذلك ويتوب إلى الله".

وتلفت الدراسة إلى أنه لا يوجد سلاح أقوى من ذلك للإصلاح الخلقى وتنشئة الإنسان على السلوك المستقيم، فالقيم الثابتة التى يعطيها قانون الله الذى هو أسمى من كل شىء، لا يستطيع الإنسان أن يتمسك بها ويعض عليها بالنواجذ، ولا أن يتصرف على هديها ولا يقبل عنها بديلا - إلا بفضل هذه العقيدة، أى: الإيمان بالله واليوم الآخر !

والسبب أن تصرفات الإنسان وحركاته تنبع من فكره وقلبه وعقله، وتتوجه حسب ما تمليه عليه عقيدته وقيمه، وليس كما يدعى ماركس وغيره من أصحاب النظريات المادية الهدامة !

تستشهد الدراسة على أهمية وأثر الوازع الأخلاقى واستجابته للأوامر الدينية أو آداب العقيدة - تستشهد بقول الأستاذ عباس العقاد:

" والغالب على الأمور القانونية أنها إرادية تكتفى بتحقيق السلامة، ولا تذهب وراء الأسلم الألزم إلى شوط بعيد ".

والغالب على الأوامر الأخلاقية أنها لدنية تعلم فيها الإرادة شيئاً، ولكنها لا تعمل كل شيء، بل يتولى الشعور أهم البواعث فى أعمال الأخلاق، ويشاهد فيها كثيرًا نزوع إلى ما وراء السلامة واللزوم وتفضيل للأجمل الأمثل من الأمر، فصاحب الوازع الأخلاقى لا يقنع بفروض القانون، ولا يزال متطلعًا إلى درجة أعلى من درجات القانعين باجتناب العقاب والتزام أدنى الحدود.

أما الغالب على الأوامر الدينية أو آداب العقيدة فهو الشمول الذى يحيط بالإرادة والشعور والظاهر والباطن، ولا يسمح لجانب من النفس أن يخلو منه، ولا يقنع بالسلامة أو بالجمال، إلا أن تكون معهما الثقة التى لا تتزعزع فى صميم الحياة، بل فى صميم الوجود ".

بهذا الإيمان، وبشحنته الروحية، ومبادئ وقواعد وأحكـام شريعته، وبالوازع الدينى، يقوم بناء الفرد فى الإسلام، مثلما يقوم أمن وأمان المجتمع اللذان عليهما أمان الناس وصلاح الحياة والأحياء والبشرية جمعاء.

* * *

فى ذات محور "المقوم الإيمانى" - كتب سماحة الشيخ عثمان خان عليموف المفتى العام لجمهورية أوزبكستان - عن "القيم ودورها فى الأمن المجتمعى"، وما كتبه سماحته أقرب إلى التعريف بأوزبكستان وظروفها التاريخية وتلك الناجمة عن تعدد الأديان فيها بين الإسلام والمسيحية والزرادشتية والبوذية، وتجربتها الخاصة فى التعامل مع هذه التعددية بالقيم الإسلامية التى تقوم على المساواة والتسامح واحترام الأديان الأخرى.. لم يحل هذا التعدد دون ثراء العطاء الإسلامى للمجتمع بعامة.. ثقافته وآثاره ومعاهده ومكتباته، وعطائه لأمن هذا المجتمع الذى يسهم الإسلام بدور كبير فى صيانته وحفظه من خلال منظور واضح الغاية والمعالم.

يحدثنا سماحة الشيخ عثمان خان عليموف عن تضامن وتعاون الجمعيات والمؤسسات الدينية والحكومية فى إحياء القيم الدينية، ومنع الحرمات الشاردة التى تهددها، وحل القضايا السلوكية وتنظيم الأسرة وتربية الأجيال الناشئة فى حضور ملحوظ للقيم الدينية والمفاهيم الإسلامية.

حول خطوط هذه المنظومة الإسلامية، يحدثنا الكاتب عن تربية الجيل الناشئ والعناية بتعليمه العلوم والفنون المختلفة وتعميق الوعى، وعن إنشاء جامعة طشقند الإسلامية ومعهد طشقند الإسلامى باسم "الإمام البخارى" لتسهم الجامعة والمعهد فى بث العلوم والقيم الإسلامية، وتخرج رجال الدين والعلماء. ويثنى الكاتب - ببيان الدور المهم الذى تؤديه القيم الإسلامية فى تأمين الأمن والسلام للقوميات المختلفة الموجودة فى أوزبكستان، والاهتمام بالمحافظة على أفضل مستوى للمعيشة القومية، مع سيادة التسامح الدينى، وتعزيز العلاقات الثنائية بين الأديان بالأسس الحقوقية والسياسية والاجتماعية، إلى جانب العادات والتقاليد التاريخية، وضمان المساواة أمام الدستور فى الحقوق والحريات بغض النظر عن الأجناس والأعراف والقوميات، مما يصب فى النهاية فى تعايش مشترك مظلته الأمن والأمان. الزاد الذى يبث هذه القيم يجمع بين الأصالة متمثلة فى رعاية التراث والآثار الإسلامية الباهرة وترميم المساجد: مسجد "الكلان" فى بخارى و " شاه زنده " فى سمرقند، و" كوك كمبذ "فى قرشى، ومجموعة مساجد "الإمام البخارى " المبنية حديثا، وغيرها.. وبين المعاصرة التى قوامها تكريس النشر وزيادة مساحته وامتداده للإنتاج الأدبى والفنى والمعرفى المبدع.. إلى جانب عنايته بالتراث الثقافى الذى امتد إلى اهتمام خاص بالمحافظة على المصحف العثمانى والنسخ النادرة المخطوطة والمطبوعة للقرآن الكريم بمختلف اللغات.

عُنِيَ الكاتب فى معرض استقصائه وسائل تحقيق الأمن المجتمعى، بالإشارة إلى مكافحة جهالة المتمردين وأرباب العنف والعدوان، والتعريف

بجوهر وحقيقة الإسلام ودعوته السلمية والإنسانية، ووجوب التقارب بين الأديان والثقافات لحفظ العالم وأمنه من الأخطار التى تتهدده.

الإسلام دين شامل لا ينسب إلى دولة بعينها أو إلى شعب دون آخر أو إلى جماعات معينة، فهو دين العالمين.. أحكامه وتعاليمه صالحة لكل زمان ومكان، تهدى الإنسانية إلى سواء السبيل، وتعزز قيمة وكرامة الإنسان، وتوفر بمنظومة قيمها الرفيعة الأمن والأمان للمجتمع والأسرة الإنسانية بأسرها.

المقوم الإيمانى
والتعدديات الدينية والمذهبية والقومية والعرقية

من واقع اختلاف الناس فى تكويناتهم ومشاربهم وعقائدهم ومذاهبهم، واختلاف الأديان فى بقاع الأرض بين أكثرية وأقلية، ومفتوحة ومغلقة، وتنوع الملل والشرائع وتعدد ثقافاتها وحضاراتها، فإن المحور الأول، وهو المقوم الإيمانى، الذى طرح فى الملتقى البحثى لمقومات الأمن المجتمعى فى الإسلام، قد تضمن بحوثا ودراسات ومقالات تعرضت للتعددية بكل أنواعها وما تقتضيه معالجتها من أساليب وغايات حرص عليها الإسلام لتحقيق الأمن المجتمعى برغم هذه التعددية.

كتب سماحة الدكتور الشيخ تيسير التميمى – من فلسطين، عن" التعددية الدينية والمذهبية والقومية " وكتب الدكتور عبد الحميد عثمان - من ماليزيا، عن التعددية الدينية والعرقية، وكتب سماحة الشيخ الأمين عثمان الأمين - من إرتيريا، عن التعددية الدينية والمذهبية والقومية، وكذلك الأستاذ الدكتور عبد الرحمن عباد من فلسطين، كما كتب الدكتور بروفيسور / شيخ الإسلام شكر باشا زادة – من أذربيجان عن " التسامح فى ظل التعددية الدينية والمذهبية والقومية فى جمهورية أذربيجان.

يبدأ سماحة الدكتور الشيخ تيسير التميمى، رئيس المجلس الأعلى للقضاء الشرعى - فلسطين، بحثه بنفى مظنة البعض أنهم مضطرون لتفصيل مبادئ الإسلام لموافقة واقع التعددية وقبول الآخر، بينما الحقيقة أن الإسلام سبق غيره للتأصيل لهذه القضايا الفكرية ومعالجتها بما سبق الحضارة الغربية بكثير.

فمبادىء وأحكام الإسلام - كدين للعالمين - صالحة لكل زمان ومكان، وتميزت ــ بهذه الخاصية - بقدرتها على التعامل والتفاعل مع كل القوالب المعاصرة، وهو ما يجب تجليته وبيان اتفاق مبادىء شريعة الإسلام مع المصطلحات الحالية، فلاغرابة فى تعبير " التعددية " لأن مقصودها يعنى مشروعية التعدد، وحق أصحاب المذاهب والآراء المختلفة فى التعايش والتعبير، وقد حفلت مصنفات الفقه الإسلامى بالعديد من حوارات ومناقشات وبراهين العلماء على آراء كل منهم، واحترم الإسلام الخصوصية الثقافية والبيئية للشعوب التى دخلت فيه، وللشعوب الأخرى التى احتك بها أو تعامل معها.

والقرآن الكريم نزل على سبعة أحرف هى أبرز لهجات العرب ليتمكنوا من استيعابه وفهمه، واتسعت التطبيقات للتوجيهات النبوية لآراء الصحابة والتابعين وأهل الفقه، مثلما اتسعت للآراء فى التفسير والتأويل والفتوى، كما اتسعت لقبول الاختلاف فى الفروع والمسائل الفقهية، وأشار القرآن الحكيم إلى تعدد واختلاف الألسنة بين بنى البشر" وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ" (الروم: ٢٢)، وفى سنن الاختلاف بين الناس قال عزّ من قائل:" وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ" (هود: ١١٨)، وفى مواجهة هذه التعددية دعا القرآن الكريم إلى التعارف بين الشعوب: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ " (الحجرات: ١٣).. ومع أن الدين عند الله الإسلام، وهو الدين الخاتم " وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ " (آل عمران: ٨٥)، إلاّ أن الإسلام لم يسفه بل احترم الديانات الأخرى، وورد فى القرآن الحكيم بيانا لذلك قوله تبارك وتعالى:" آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا

غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ" (البقرة: ٢٨٥).. ولم يغلق الإسلام باب الإجتهاد أمام أهل العلم والفقه، وسلم الإسلام بوجود التعددية القومية.

موقف الإسلام من هذه التعددية التى تمثل واقعاً فى الحياة، يعبر عنه حديث رسول القرآن ﷺ: " يا أيها الناس، ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربى على أعجمى، ولا لأعجمى على عربى، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر ــ إلاّ بالتقوى "... جمع الإسلام بين عمار بن ياسر العربى، وسلمان الفارسى، وصهيب الــرومى، وبلال الحبشى، ثم جمع عبر القرون بين العربى والتركى والصينى والهندى والأندونيسى والأفريقى والأوروبى، واتسعت واحته لهم جميعا على سنة المساواة.

عن التعددية الدينية والعرقية، كتب الدكتور عبد الحميد عثمان ــ من ماليزيا، ليميز بين واقع يفرز حقيقتين لا خلاف عليهما: ــ (١) وحدانية الخالق (٢) تعددية الخلق، وأنه على هذا التصور الصحيح قامت عقيدة الإسلام وفكرته عن الوجود، فساوى لذلك بين الأجناس، وجعل التقوى هى المعيار الوحيد للمفاضلة (الآية ١٣ من سورة الحجرات). فإذا كان مصطلح التعددية مستحدثاً منذ العقدين الأخيرين من القــرن العشرين تقريبا، إلاّ أن مفهومه قديم قدم الحياة بغض النظر عن العبارات والمسميات الإصطلاحية. ولذلك لم ينكر عاقل وجود هذه التعددية كواقع للحياة، و كان للإسلام فضل السبق إلى تبنى قدرة مختلف الفئات العرقية أو الدينية أو الأيديولوجية على التعايش جنبا إلى جنب فى كل بقعة من بقاع الأرض.

صرح القرآن الحكيم بهذه التعددية ودعا للسبق إلى الخيرات، فقال تبارك وتعالى: "وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُواْ الْخَيْرَاتِ" (البقرة: ١٤٨)، فهذه التعددية قد تكون سلبية تؤدى إلى التناحر والصراع، وقد تكون إيجابية تصل بنضجها إلى التعايش فى إطار التسليم بأن التعددية سنة كونية. هذا الفهم نراه فى القرآن المجيد فى مواضع عديدة، فهناك من الخلق - المفطورون على عبادة الله: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ

عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ" (التحريم: ٦).. والإنسان فى إطار آيات القرآن المجيد عن وجود التعددية كسنة كونية ووجوب التعامل معها بفهم وإسماح، أورد أن الإنسان هو الذى يقرر مصيره بنفسه لنفسه" مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاء فَعَلَيْهَا" (فصلت: ٤٦).." فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ" (الكهف: ٢٩).. وفى المقابل بالمشيئة الراشدة: " لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا " (الفرقان:٦٢).

يتوقف الدكتور عبد الحميد عثمان متأملا فاحصا فى التعددية والاختلاف المذهبى وفى التعددية الثقافية، والتعددية العرقية.. ليبين كيف واجه الإسلام هذه التعدديات وغيرها ؟.. واجهها بدعوته الراشدة للانفتاح والعدل والمساو ة والتسامح، وهذه المنظومة هى التى تحقق وتضمن لكل فرد فى المجتمع الإسلامى سلامة وأمان النفس والعرض والمال، ولا ينهى الدكتور عثمان بحثه دون أن يطوف بالمجتمع الماليزى وكيف حل الإسلام فيه مشكلة التعددية حلاً سبق به الإسلام جميع الشرائع والنظم وقوانين الناس.

وتحت عنوان التعددية الدينية والمذهبية والقومية، كتب سماحة الشيخ الأمين عثمان الأمين من إريتريا، والدكتور عبد الرحمن عياد من فلسطين - فيستهل الشيخ الأمين عثمان بحثه بالتنويه إلى تكريم الله تبارك وتعالى للإنسان فيما تحدثت به سورة الإسراء (الآية: ٧٠) لينتقل إلى تعدد الرسالات حتى انتهت بالإسلام الدين الخاتم فيقول عزّ من قائل: " كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ لِمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاء إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ" (البقرة: ٢١٣)، ثم بعث سبحانه وتعالى برسول القرآن ليكون هداية للعالمين: " وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِـــنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُـــونَ" (سبأ: ٢٨).. فكيف تعامل الإسلام مع ماسبقه من ديانات ؟ وكيف تعامل مع أهل الكتاب وغير المسلمين ؟

لقد نهى القرآن عن مجادلة أهل الكتاب إلاّ بالتى هى أحسن:" وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنـزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ " (العنكبوت: ٤٦)، وأمر بمعاملة غير المسلمين بالبر والقسط:" لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّـهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ" (الممتحنة: ٨)، وأمر بالعدل بعامة حتى مع الأعداء.. " يَـا أَيُّهَـا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ للّهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَـى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ" (المائـدة: ٨)، وأقام علاقة المسلمين بأهل الكتاب على سنة أجملها القرآن المجيد بقـوله تبارك وتعالى:" الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حِـلٌّ لَّكُـمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِـنَ الَّـذِينَ أُوتُـواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلاَ مُتَّخِـذِي أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الآخِـرَةِ مِـنَ الْخَاسِـرِينَ" (المائدة: ٥).

أما العلاقة بين الإسلام والمسيحية، فعلاقة لها خـصوصية تحـدث عنهـا القرآن الحكيم، فقال عزّ من قائل:"لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُـودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ قَالُوَاْ إِنَّا نَـصَارَى ذَلِـكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ" (المائدة: ٨٢ - ٨٣).

لقد اتخذ الإسلام موقفا بالغ الحكمة والإنصاف باحترامه لكافة الرسالات والنبوات السابقة على الديانة المحمدية، وبحمايته مقدسات كل الأديان من أى انتهاك، ودعا إزاء التعددية القومية للتوحد وفى إطار العدل والمساواة، وقد استطاع الإسلام بذلك أن يؤلف بين القلوب، ولذلك وجد أهل الكتاب وغيرهم السلام والأمان فى واحته التى اتسعت فى عدل وإسماح لكل ضروب التعددية.

إضافة لما سبق واتفق معه بحث الدكتور عبد الرحمن عياد الأمين العام لهيئة العلماء والدعاة فى بيت المقدس بفلسطين، فإنه نوه إلى أن سياسة الحكم فى الإسلام تقوم على أسس ثلاثة:

(١) العدل من الولاة: " إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ" (النحل: ٩٠).. " إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل " ..

(٢) الطاعة من المحكومين " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ " (النساء٥:)..

(٣) الشورى بين الحاكمين والمحكومين..عملا بقوله سبحانه وتعالى:"وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ" (الشورى: ٣٨).

إن ما شرعه الإسلام، موافق مناسب لكل عصر، فى واحته وطبقا لمبادئه وأحكامه وهدايته وعدله وإنصافه وإسماحه، يتحقق به للجميع مظلة وارفة من الأمن والأمان، تشمل المجتمع برمته أفرادا وجماعات.. فالإسلام قد جاء ليكفل الحياة الكريمة للإنسان فى طعامه وشرابه وسكنه وحريته، وجعل الرحمة جوهر الرسالة المحمدية فقال فى محكم تنزيله لرسول القرآن: "وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ" (الأنبياء: ١٠٧).. هذه الرحمة العامة، تتسع لتشمل الكافة، مسلمين وغير مسلمين، عربا وغير عرب.. أمام الله سبحانه وتعالى تتوارى العصبيات والعرقيات، وتبقى هذه الرحمة العامة لهذا الدين الحنيف الذى جعله سبحانه وتعالى رحمة للعالمين إلى يوم الدين.